وشعر هذه المرحلة كثير ، وربما كان السبب فى هذا يرجع إلى فرص الفراغ التى كانت متاحة له فيها أكثر مما أتيحت له من فرص فى المرحلتين السابقتين اللتين كان مشغولا فيهما بحياته من ناحية ، وحياة شعبه من ناحية أخرى ، ومن غير شك فإن أروع ما قدمه فى هذه المرحلة هى ملحمته الطويلة التى سجل فيها السيرة النبوية فى معارضتة لبردة البوصيرى ، والتى سماها «كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » ، وقد امتد بها امتداداً طويلا حتى بلغت أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا ، وهى ليست مدحا خالصا للرسول عليه السلام كما فعل البوصيرى ، ولكنها تاريخ كامل للسيرة النبوية ، ولا شك فى أنها هى التى وجهت أحمد محرم إلى نظم ملحمته فى السيرة النبوية المعروفة بالإلياذة الإسلامية .

على امتداد هذه المراحل الثلاث ، وعلى طول الطريق الذى سلكه البارودى فى رحلته الفنية ، تتساقط قطع براقة فى بعض قصائده تعد انعكاسات للحياة المعاصرة التى يحياها بما تمتلئ من بعض مظاهر هذه الحياة ، وفى ظنى أن البارودى كان يحرص على ظهورها فى شعره ، وكأنه يرى أنها تؤكد أنه على الرغم من تراثيته التى أقام عليها بناءه الفنى ـ لم ينفصل عن عصره ، ولم يبتّ حباله من الحياة العصرية الحديثة التى كان المجتمع المصرى يأخذ بأسبابها منذ أن رفع إسماعيل شعاره بأن يجعل مصر قطعة من أوربا .

ويبدو الحديث عن الكهرباء أكثر هذه القطع البراقة ظهوراً فى شعره ، ومعها يظهر الحديث عن آلة التصوير وعن المنظار المقرب وبعض المظاهر الحضرية الحديثة ، وهو يوظفها توظيفاً فنياً على قدر غير قليل من البراعة فى رسم نراه يتحدث عن القطار الذى يسميه الوابور وهى التسمية التى أطلقها عليه الشعب المصرى فى أول عهده به ، تعريباً أو تمصيراً لكلمة « البخار » فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهو يصف رحلته به مستغلا رموز الرحلة المألوفة فى القصيدة العربية القديمة ، فنرى على اللوحة الحديثة ألوانا يستمدها من صندوق الأصباغ التقليدى ، حتى ليتراءى القطار فى بعض